

جماليات التكرار في الشعر العربي الحديث "اللهب المقدس" لمفدي زكريا أنموذجاً.

منور عائشة:

طالبة دكتوراه جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

إشراف: د فريحي مليكة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

ملخص البحث :

نالت اللغة عناية بالغة من حيث الدراسة والتحليل لكونها أداة اتصال بين البشر، وذلك من أجل الكشف عن مكوناتها ومعرفتها معرفة دقيقة، اهتم بها دارسون متخصصون، فكانت الجملة في بداية الدرس اللساني هي الأساس في الدراسة، وكننتيجة للاهتمام باللغة والتطورات التي شهدتها جميع العلوم، أحدث تغيراً في مجالات الدراسة من الجملة إلى النص، فظهر علم جديد يدرس النصوص ويحللها وهو لسانيات النص الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها، وأهم مفاهيمه الاتساق والانسجام، فجاءت التعريفات المتراوحة بين وحدة النص، وترابطه ودلالته، جعلت المقاربة اللسانية تحاول إرساء نظرية نصية متكاملة للمشروع اللساني النصي، فلا يكون النص نصاً إلا إذا تحققت المعايير النصية التي أضافها "ديوجران" و"دريسلر"، والتي جاءت شاملة لكل تعريفات النص على اختلافها. وكمظهر من مظاهر التماسك النصي لعب التكرار دوراً هاماً في صياغة النصوص الشعرية من خلال إبراز والكشف عن جمالياته وآلياته في ديوان "اللهب المقدس" لشاعر الثورة "مفدي زكريا".

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، التماسك النصي، الاتساق المعجمي، التكرار.

The language was very careful in terms of study and analysis because it is a tool of communication between humans, in order to reveal the mechanics and knowledge of accurate knowledge, specialized scholars, was the sentence at the beginning of the linguistic lesson is the basis of the study, and as a result of interest in the language and developments in all sciences, A change in the fields of study from the sentence to the text, the emergence of a new science studying texts and analyze it is the linguistics of the text that examines the cohesion of texts and their transcendence, and the most important concepts of consistency and harmony, because the differences between the unity of the text and its interdependence and evidence, made the linguistic approach trying to establish a textual theory. The text will not be text unless the textual standards added by Depogrand and Dreiser include all the different text definitions. As a manifestation Textual coherence Repeated plays an important role in the formulation of poetic texts by highlighting and revealing its aesthetics and mechanisms in the "Holy Flame" library of the poet of the revolution, "Mafdi Zakaria". Keywords: text linguistics, textual consistency, lexical consistency, repetition.

مقدمة:

يعد مفهوم لسانيات النص من أحد المصطلحات الحديثة، التي وضعت ترجمة للمصطلح الذي عبر عنه في الإنجليزية بعدة مصطلحات، إن عدم الاستقرار هذا من حيث التسمية لم يقتصر على الغرب، فحتى عند العرب تعددت تسمياته نحو: علم لغة النص، نحو النص، التحليل اللساني النصي، علم البراجماتية، اللسانيات النصية، التداولية النصية.

رغم تعدد التسميات يبقى هذا العلم منصبا في دراسة موضوعا واحدا وهو النص، الذي يعتبر بدوره الموضوع الرئيسي في التحليل والوصف اللغوي، حيث شهدت الدراسات اللغوية نقلة نوعية، وذلك بعد أن أدرك اللغويون أن الجملة التي كانت تعتبر أكبر وحدة لغوية لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، فنظروا إلى لسانيات النص على أنها علم شامل وواسع، ينظر في مجال أبعد من الجملة وهو النص. هذا النظام الفعال الذي جعل حقه أن يعرف تبعا للمعايير النصية الكاملة. فالنصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل، لأن نحو الجملة فرض قيودا على الدراسات اللغوية تقف عند حد الجملة ولا تتعداها فضيق بذلك مجال الدراسة مما جعل الدارسون يخوضون في علم أشمل يسمح لهم في الغوص والاسترسال في ثناياه أثناء دراسته فكان النص.

وفي الحديث عن لسانيات النص لابد من التعرّيج على اتساق النص وانسجامه، وسأحاول من في هذا البحث الحديث عن عنصر هام وأداة من أدوات الاتساق المعجمي، وهو التكرار من خلال رصد مختلف آلياته في "اللهب المقدس لمفدي زكريا"، ووصف مظاهره ومحاولة تنظيم أطره في لغة الشعر، وذلك في محاولة لإبراز دوره في تحقيق التماسك النصي، واخترت في ذلك شاعر الثورة الذي تميز في هذا المجال في جل قصائده بشتى الأساليب، وذلك بطرح إشكالية مفادها: إلى أي مدى يمكن الكشف عن البعد الفني والدلالي للتكرار في شعر مفدي زكريا من خلال ديوانه "اللهب المقدس"؟ وكيف ساهم التكرار في بناء النص الشعري؟ وماهي أنواع التكرار التي وظفها الشاعر في ديوانه؟ وماهي مواطن العفوية والقصدية في استعمال التكرار من طرف الشاعر؟ واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمل على تحليل الظواهر اللغوية.

وقد جاءت الدراسة في مبحثين، أولها مفاهيم عامة عن التماسك النصي والاتساق والاتساق المعجمي، ونبذة عن حياة الشاعر، ليتحدث المبحث الثاني عن أثر التكرار في التماسك النصي في الديوان من خلال رصده في بعض القصائد، ليخرج البحث بخاتمة متوجة بنتائج هذا العمل لتجيب عن السؤال المطروح، وهو (كيف يساهم التكرار في اتساق النص الشعري؟).

مفاهيم لسانيات النص:

تعتبر لسانيات النص فرعاً معرفياً جديداً، يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، فهو لحمة متماسكة، وذلك بدراسة جوانب عديدة تشكل التماسك النصي الذي يقوم على عاملين أساسيين هما: الاتساق والانسجام، إنهما ظاهرتان مهمتان ومعبّرتان كل باحث لساني في تقصيه عن الدراسة النصية لأي نص ما، و "يجب على عالم اللغة النصي أن يبقى بحثه محصوراً في أبنية النصوص وصياغتها مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة"¹.

يهتم علم اللغة النصي بدراسة النصوص وتحليلها، ويبحث في تماسك النصوص وتعالقها، بحيث يكون النص وحدة كلية تؤدي أغراضاً معينة في مقامات تبليغية محددة، وما يميز هذا العلم هو حدّاته، وتنوع موضوعاته، فموضوع لسانيات النص بشكل عام هو

دراسة النص اللغوي دراسة وصفية تحليلية في إطار يضمن له الترابط والتماسك والتميز والانتظام مهما كانت طبيعة هذا النص، ومن أهم ما نقف عنده في معالجة النصوص وتحليلها وفق لسانيات النص هو توافر مجموعة من الوسائل اللغوية التي تجعل النص الواحد قائما بذاته مستقلا عن غيره، وتتمثل في جملة المعايير التي تشكل نصية النص وتساهم في وجوده واستمراريته. ومن أهم أحد المفاهيم التي عني بها التماسك النصي هو ظاهرة الاتساق والانسجام معا.

مفهوم التماسك النصي:

يعتبر التماسك النصي آلية من آليات دراسة النصوص اللغوية، حيث تعامل البحث اللساني مع جملة من المصطلحات وفي مقدمتها النص. ويأتي في اللغة مقبلا للتفكك.

أ- المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "المسيك من الأساقي التي تحبس الماء، فلا ينضح، وأرض مسيكة لا تُنشف الماء لصلابتها، وأرض مساك أيضا"² وورد في تاج العروس للزبيدي: "وفي صفته صلى الله عليه وسلم بادن متماسك، أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم، ليس مسترخية ولا منفضجه، أي أنه معتدل الخلق، كأن أعضائه يمسك بعضها بعضا"³، وهو بهذا يعني الترابط التام للعناصر بعضها ببعض والمتانة بين الأجزاء، والشدّة والصلابة.

ب - المفهوم الاصطلاحي:

لقد ورد في مدونات اللغويين القدامى إرهاصات أولية أو بذورا لنظرية النص الحديثة، ووظفوا عدة مصطلحات ندل على الوحدة الكلية للنص رغم أنهم لم يصلوا في ذلك إلى مستوى النظريات الغربية النصية الحديثة، رغم ذلك نجدهم قد أسسوا لهذه النظريات من خلال ما وظفوه في كتبهم حول السبك والحبك، والفصل والوصل والانسجام والتآلف بين أجزاء النص... وغيرها.

تجسدت هذه النظرة في ديوان العرب، فها هو "الجاحظ" (255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" ينقل مفهوم التماسك النصي الشعري فيقول: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"⁴، فالشعر الجيد هو تلك الأجزاء المتماسكة فيما بينها وشبهه بالدهان الذي لا تتفصل أجزاؤه، واختار في وصفه (أفرغ إفراغا واحدا - سبك سبكا واحدا) وفي السبك شدة التلاحم بين الأجزاء وفي الإفراغ ذلك التماسك الذي يكون دفعة واحدة دون انقطاع أو انفصال مما يؤدي إلى سيروية النص، ومن خلال هذا المثال البسيط للجاحظ يتبين لنا أن اللغويين الأوائل لم يقفوا عند حدود الجملة بل تجاوزوها إلى النص، بذلك نعتبرهم أصحاب الصدارة للسانيات النصية في بذورها الأولى.

إن لفظة النص لم ترد عند البلاغيين القدامى بهذا المصطلح، بل أخذت مصطلحات أخرى تحمل المفهوم نفسه منها البيان، التأليف وغيرها. يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): "إنك لا ترى علما هو أوسع أصلا، وأنسق فرعا، وأحلى جنبا، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلى ويلفظ الدرويفت السحر... والذي لولا تحفته بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة"⁵، وبذلك يكون قد صور التلاحم والتماسك بين أجزاء النص بأروع ما يكون، حيث تكون الحياكة والصياغة في امتزاجهما ونثر عليهما الدر من الألفاظ وسحر المعاني ليتشكل

للمتلقي كلا متكامل لا انفصال فيه، ويظهر ذلك البيان المدهش في ترابط النصوص الصغيرة لتشكل وحدة أكبر.

ولعل أهم الدراسات التي أكدت على وحدة النصوص تلك التي كان لها علاقة بالإعجاز، وذلك من خلال نظرية النظم التي خاض فيها الأولون دفاعاً عن القرآن الكريم من الطعون الضارية فيه، ومن بين القضايا التي أشار إليها الطاعنون هي قضية التكرار في القرآن، حيث وقفوا على تكرار الآيات والقصص، لأنهم كانوا يرونه عيباً في صياغة النص، وهذا الكتاب المقدس، لكي يرجعوا بذلك إلى أن القرآن هو من عند محمد صلى الله عليه وسلم لأن نسيانه لبعض الأشياء يجعله يكررها في مواطن أخرى، مما أدى إلى ظهور ردة فعل علماء ذلك الزمان فالفوا في إعجاز القرآن وقدموا البراهين والحجج على نزاهة القرآن مما يدعون، وأخروا الألسنة، وبينوا للتكرار صفته الجمالية وغيره من الظواهر اللغوية، وكانت نظرية النظم التي تحدث عنها معظمهم والتي أرسى قواعدها الجرجاني وبين أسرارها هي الأساس الأول للدراسة النصية.

مفهوم الاتساق:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور في الجذر (و، س، ق) : " وسقت النخلة إذا حملت فإذا كثر حملها قيل : أوسقت أي حملت وسقا، وسقت الناقة وغيرها تسق أي حملت وأعلقت رحمها على الماء، فهي واسق ونوق وساق، وسقت عيني على الماء، أي ما حملته، الوسوق : ما دخل فيه الليل واتسق، والطريق يتسق ينظم، واتساق القمر امتلاؤه، واجتماعه واستوائه ليلة ثلاثة عشر وأربعة عشر، واستوسقت الإبل : اجتمعت، والاتساق الانتظام"⁶.
ومن خلال هذا التعريف لابن منظور يتبين لنا أن الاتساق معناه النظم والانتظام في جميع أشكاله، والقوة على الالتصاق والتناغم والاستواء الحسن.

اصطلاحاً:

الاتساق (cohesion) في الاصطلاح يتحدد مفهومه على أنه " مجموعة من البنى الدلالية والتركيبية التي تربط الجمل على نحو مباشر بعضها ببعض، دون الرجوع إلى المستوى الأعلى للتحليل، أي مستوى البنية الكبرى"⁷ ويقصد عادة بالاتساق "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكل) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء أو خطاب برمته"⁸. فكل من التعريفين يبين أن الاتساق هو الترابط والانتظام بين عناصر النص، وذلك بوجود آليات تجعله متماسكا وهي الروابط والترابط معا.

وقد قال صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني في معنى الاتساق : "...واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغض المسلك في توخي المعاني... أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها ببعض، ويشد ارتباط ثان فيها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه ههنا، في حال ما يضع بيساره هناك، ونعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين"⁹... إنها ذات الرؤية التي يراها اللغويون اللسانيون لمفهوم الاتساق.

وسائل الاتساق:

تتفق كثير من الدراسات اللغوية على أن الاتساق واجب وضروري في أي نص، "ذلك أن كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة مباشرة، من جهة أخرى كل جملة تحتوي على الأقل على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدما، وبعض آخر من الجمل

يمكن أن يحتوي على رابطة تربطها بما سوف يأتي".¹⁰ فكل هذه الروابط دور كبير في تحقيق الوحدة الكلية للنص، وهذه العلاقات بين الجمل وأجزائها هي المصدر الوحيد للنصية. وأهم أدوات الاتساق الإحالة بفرعها القبلي والبعدية، ويتوفر كل نص على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، وعنصر آخر وهو الاستبدال القائم على تعويض عنصر لغوي بآخر، والحذف الذي يشير إلى علاقة داخل النص، والوصل، والاتساق المعجمي.

مفهوم الاتساق المعجمي:

يعتبر الاتساق المعجمي من أهم وسائل الاتساق و"يعد آخر مظهر من مظاهر اتساق النص إلا أنه مختلف عنها جميعاً، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترض والعنصر المفترض كما هو الأمر سابقاً، ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين عناصر النص".¹¹ فالربط المعجمي يختلف عن وسائل الاتساق الأخرى إلا أنه يتقاطع معها في أمر واحد هو التماسك بين عناصر النص. فهو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر فتظهر بذلك حركية العناصر المعجمية داخل النص متصلة بعناصر تعمل على تفسيرها لتبنى فكرة النص، وبذلك يكون التواصل والفهم.

"ينقسم الاتساق المعجمي في - نظر الباحثين - إلى نوعين:

أ/ التكرير: Reiteration

ب/ التضام: Collocation

التكرير: هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً¹².

" **التضام:** هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"¹³.

تعريف التكرار:

يعتبر التكرار أداة إيقاعية متميزة، ويؤدي دوراً كبيراً في عكس تجربة الشاعر النفسية والانفعالية التي يشكلها، ويكثف الصورة في بؤرة دلالية واحدة فترفع من قيمة النصوص الفنية، ذلك أن في التكرار تحمل الصورة دلالات أخرى غير سابقتها.

أ - التكرار لغة:

إن لفظ التكرار في اللغة يعود إلى معنى الرجوع إلى الشيء مرة أخرى، فهو مصدر (كرر)، وقد ورد: "إما تكرر أو تكريرا"¹⁴، يقول الرازي "الكر الرجوع يقال كررت الشيء تكريرا وتكرارا"¹⁵، والتكرار من الكر وهو الرجوع ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، ف"كرر الشيء" وكرره أي أعاده مرة بعد أخرى ويقال كررت عليه الحديث وكررتة إذا رددته عليه، والكر الرجوع، قال أبو سعيد الضرب: قلت لأبي: ما بين تفعالت وتفعال؟ بكسر التاء وفتحها فقال، تفعال بالكسر اسم وتفعال بالفتح مصدر¹⁶.

ب - التكرار اصطلاحاً:

جاء في كتاب "التعريفات" أن التكرار "عبارة عن الإثبات بالشيء مرة بعد أخرى"¹⁸ وذهب السيوطي إلى أنه "أبلغ من التوكيد، وهو من محاسن الفصاحة"¹⁹ وبذلك فقد ربط التكرار بمحاسن الفصاحة، وقد ذكر عنده أنه أبلغ من التوكيد، وقد ورد مفهوم التكرار في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب على أنه "الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صورته فنجد في الموسيقى، كما نجده

أساسا لنظرية القافية في الشعر، وسر نجاح الكثير من المحسنات البديعية، ورد العجز على الصدر في علم البديع العربي"¹⁸.

نبذة عن شاعر الثورة مفدي زكريا:

هو الشيخ زكرياء بن سلمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، لقبة زميل البعثة الميزابية سليمان بوجناح ب"مفدي" فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به. ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ، الموافق ل 12 يونيو 1908م، ببني يزقن ولاية غرداية، وفي بلدته تلقى دروسه الأولى في القرآن ومبادئ اللغة العربية.

التحق بالبعثة الميزابية بتونس، فواصل دراسته هناك في مدرسة السلام، والمدرسة الخلدونية، وجامع الزيتونة، كما غشي مسامرات الأديب التونسي الكبير، الاستاذ العربي الكبادي وجمعه صداقة حميمة في تلك الفترة بالشاعرين: أبو القاسم الشابي ورمضان حمود الذي كان زميلا له في البعثة. أول قصيدة له ذات شأن " إلى الريفيين" نشرها في جريدة "لسان العرب" بتاريخ 06 ماي 1925م، وجريدة "الصواب" التونسيين، ثم في الصحيفة المصرية "الواء" و"الأخبار".

واكب الحركة الوطنية بشعره وبنضاله على مستوى المغرب العربي، فانخرط في صفوف الشبيبة الدستورية، في فترة دراسته بتونس، فاعتقل لمدة نصف شهر، كما شارك مشاركة فعالة في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا، وعلى مستوى الحركة الوطنية الجزائرية مناضلا في حزب نجم شمال إفريقيا، فقادا من أبرز قادة حزب الشعب الجزائري، فأودع السجن لمدة سنتين 1937م-1939م.

وغداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى انخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة، وألقي عليه وعلى زملائه المشككين لهذه الخلية القبض، فأودعوا السجن بعد محاكمتهم، فبقي فيه لمدة ثلاث سنوات من 19 أفريل 1956م إلى 01 فبراير 1959م، بعد خروجه من السجن فر إلى المغرب، ومنه انتقل إلى تونس للعلاج على يد فرانز فانون، مما لحقه في السجن من آثار التعذيب، وبعد ذلك كان سفير القضية الجزائرية بشعره في الصحافة التونسية والمغربية، كما كان سفيرها أيضا في المشرق عند مشاركته في مهرجان الشعر العربي بدمشق سنة 1961م.

بعد الاستقلال أمضى حياته في التنقل بين أقطار المغرب العربي، وكان مستقره المغرب، وبخاصة في سنوات حياته الأخيرة، وشارك مشاركة فعالة في مؤتمرات التعرف على الفكر الإسلامي. توفي يوم الأربعاء 02 أغسطس 1977م بتونس، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن بمسقط رأسه ببني يزقن.

دواوينه:

هو صاحب الأناشيد الوطنية: النشيد الوطني الجزائري، نشيد الانطلاقة الأولى "فداء الجزائر"، نشيد العلم الجزائري، نشيد الشهداء، نشيد جيش التحرير الوطني، نشيد الاتحاد العام للعمال الجزائريين... وغيرها من الأناشيد. وله من الدواوين المطبوعة: ديوان اللهب المقدس 1961م، تحت ظلال الزيتون 1966م، من وحي الأطلس 1976م، إلياذة الجزائر في ألف بيت وبيت 1972م.

للشاعر شعر كثير غير ما نشره في دواوينه متفرق في الصحافة الجزائرية والتونسية والمغربية، وبقي أمر جمعها في دواوين حلما يراود الشاعر، ولم يستطع تحقيقه رغم إعلانه عن هذه الدواوين في أحاديثه وتراجمه الشخصية: "أهازيج الزحف المقدس" أغاني الشعب

الجزائري الثائر بلغة الشعب، "انطلاقة" ديوان المعركة السياسية في الجزائر 1935م-1954م ،"الخافق المعذب" شعر الهوى والشباب، "محاولات الطفولة" إنتاج الشاعر في صباه.

أما نثره فكثير ومتفرق في صحافة المغرب العربي لم يجمع بعد، وله كتب ذكرها في أحاديثه الصحفية، لكنها لم تر النور إلى تاريخ اليوم، من ذلك: أضواء على وادي ميزاب، الكتاب الأبيض، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مسرحية "الثورة الكبرى"، الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ بالاشتراك مع الهادي العبيدي وغيرها.

مدونة اللهب المقدس:

اللهب المقدس ديوان شعر لشاعر الثورة مفدي زكريا، نظمه أثناء اعتقاله بسجن بربروس من قبل السلطات الفرنسية الاستدمارية، تناول الثورة الجزائرية وأولها شهداء المقصلة "أحمد زبانة" بقصيدة الذبيح الصاعد، "واللهب المقدس هو "ديوان الثورة الجزائرية" بواقعها الصريح، وبطولاتها الأسطورية، وأحداثها الصارخة، وهو (شاشة تليفزيون) تبرز إرادة الشعب استجاب له القدر"¹⁹.

كان الشعر في نظر مفدي إلهاما لا فنا حيث يقول: "لم أعن في "اللهب المقدس" بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية، وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلولة، والشعر الحق - في نظري - إلهام لا فن، وعفوية لا صناعة"²⁰. يعتبر اللهب المقدس رسالة لإيصال قضية شعب وعمق ثورة، ونضال شعب أبى إلا أن يواجه مصيره بكل إرادة وعزيمة إلى العالم بأسره.

لقد أشار الشاعر في كلمته التي افتتح بها ديوانه إلى ما سيجده بعض الذين ذكرهم في اللهب المقدس حيث يقول: "قد لا يجد عشاق - ما يسمونه بالشعر الجديد - في اللهب المقدس، ما يشبع غرائزهم المشبوبة في جحيم النهود والبراعم والفساتين.. ولكن سيجد فيه (الشعراء الناس) صلة رحم وثقى بعز أمجادهم، وتجاوزا صادقا مع مشاعر العروبة الزاحفة في كل بلد عربي يقدر "العروبة" من عظمة وجلال، وسيجد فيه رواد "التجديد الرصين" ما يدعم عقيدتهم في أن عمود الشعر العربي - غير المغموز النسب - يبقى شامخا أمام أي تجديد في التعبير والتفكير في حدود (الشخصية الذاتية) للغة صمدت في وجه الزمن"²¹.

أثر التكرار في تماسك النص الشعري:

إن مدونة "اللهب لمقدس" غنية بالتكرار سواء كان كلمات أو تراكيب، فالشاعر يستخدمه كمبدأ أسلوبيا لبناء هيكل قصيدته الفني، فنجد التكرار اللفظي عاملا مركزيا من محاور القصيدة . حيث يقول في قصيدة: ماذا تخبئه يا عام ستينا؟

وفي الجزائر، للتنكيل، مدرسة	تعلم الفتك بالشعب، الشياطينا
وفي الجزائر، للتمثيل محكمة	فيها، الفضائع، سموها قوانينا
وفي الجزائر، للقتل مجزرة	راجت بها المهج الحرى قرايبنا

نلاحظ أن "في الجزائر" شكلت مفتاحا لعدة أبيات شعرية حاول الشاعر من خلال توظيفها إثبات الوجود، أن الجزائر قائمة دولة وشعبا، وأنها دولة عز وشعارها العين بالعين والباديء أظلم. وهذا التكرار يشكل حلقة وصل بين أجزاء القصيدة، وقد اعتمد الشاعر التكرار الاستهلاكي في مطلع كل بيت، والغرض منه التأكيد والتبويه وجلب انتباه وفكر المتلقي لجعله يتعاش مع النص بكل حواسه .

ولهذا التكرار أهمية كبيرة في فهم مضمون النص الشعري إضافة إلى رصد الحالات النفسية المتتابعة في بنية النص وتحقيق التماسك النصي، لأن كل تكرار من هذا النوع قادر على يزرع

في القارئ الإحساس بالتتابع مما يساعد المتلقي في عملية التوقع، وهي سمة تحفيزية له لجهله يستمر في الانتباه ومواصلة التركيز والاهتمام لما نظمه الشاعر في القصيدة.

ومن الملاحظ في القصيدة أن شبه الجملة التي بادر بها الشاعر أبياته الواحد تلو الآخر (وفي الجزائر)، كان مستهلها تكرار حرف العطف واو، الذي يعتبر المنطلق الأول في الإيقاع المتحرك، فهو يهيمن صوتيا في بنية المقطع، وهو بذلك يكون طرفا في تماسك الأبيات وتلاحمها مما يشكل نصا متلاحم الأجزاء.

وفي تكراره للحرف "في" الدال على الظرفية المكانية الذي يضيء لفظة "الجزائر" ويجعل لها حيزا واسعا، فأصبحت بذلك أكثر بروزا وتميزا عن غيرها من ألفاظ المقطع، كما أن تكرار "وفي الجزائر" في هذا المقطع كشف عن الشعور المكثف والمتعالي في نفس الشاعر الذي يصل إلى المتلقي، وتتجسد لديه تلك الصورة، وتتشكل عنده تلك الأفكار والمعاني في تتابعها وتسلسلها، وبالتالي يكون قد وصل إليه المعنى العام ضمن وحدة كلية متماسكة ومتراصة المعالم ومتلاحمة الأجزاء.

وفي موضع آخر نجده يقول في قصيدة (اقرأ كتابك):

وقل: الجزائر واصغ إن ذكر اسمها تجد الجبابر ساجدين وركعا
إن الجزائر في الوجود رسالة الشعب حررها، وربك وقعا !
إن الجزائر قطعة قدسية في الكون لحنها الرصاص ووقعا !

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات على الإيحاء والرمز، ليرسم بذلك صورة قام بتكرارها في معظم قصائده، فانفعال الشاعر وحبه للجزائر جعله يوازن بين الجانب الخيالي والموضوعي. فهذا التكرار البياني كان الشاعر يهدف من ورائه استمالة المتلقي لاستحضار الصورة المقصودة وبذلك يتحقق التوافق الشعوري بين الشاعر والمتلقي، وهذا التكرار الإيحائي يوحى بالقدرة الشعرية التي فطر عليها شاعرنا (فالجزائر رسالة، والجزائر قطعة قدسية لحنها الرصاص) فأصل الرسالة لها دلالة التبليغ، وبذلك فهو يبلغ لكل الوجود قيمة الجزائر التي حررها شعبها بإذن ربهم بعد نضال طويل وكفاح تشهد له الأزمان، كما يشهد على قدسية الجزائر بالتأكيد على تكرار (إن الجزائر) تحمل دلالات رمزية وإيحائية منها تقديس هذه الأرض التي ضحى من أجلها شعب يهوى الموت والاستشهاد كما يهوى عدوه الحياة، كما أن حرف التوكيد (إن) الذي استهل به الأبيات كان واضح الدلالة، حيث أراد الشاعر أن يبين مكانة هذا الوطن، وأن أمنه واستقراره دفع من أجله ثمنا باهضا.

وفي قصيدة: "قال الله" يقول فيها:

وفي صحرائنا جنات عدن بها تنساب ثورتنا انسيابا
وفي صحرائنا الكبرى كنوز نطارد عن مواقعها الغرابا
وفي صحرائنا تبر وتمر كلا الذهبين: راقق بها وطابا
وفي صحرائنا، شعر وسحر كلا الملكين: حظ بها الركابا
وفي صحرائنا، أدب وعلم زكا بها المثقف، واستطابا

نلاحظ أن الشاعر افنتح هذه الأبيات بتكرار استهلاكي، وظيفته على ما يبدو التأكيد وإثارة واستمالة المتلقي، ليشارك الشاعر إحساسه من خلال تجسيد الصورة التي سعى إلى إظهارها لتحتضن هذه الأخيرة الصحراء بشساعتها في الجانبين: المادي والمعنوي. كما يقول في قصيدة "سنثار للشعب" التي أنشدها في المهرجان العظيم الذي أقامه الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1960م في تخليد الذكرى السادسة للثورة الجزائرية:

نغمبر حدثنا، عهدناك صادقاً ألسـت الذي ألهمت أحجارنا النطقاً؟ ألسـت الذي، كنت المسيح بأرضنا وأشرفت من عليك،تخلّقنا خلقاً؟

ألسـت الذي، بلّغت شَمَّ جبالنا قرار السما..فاستصرخت تنسف الرّقا

ألسـت الذي، ناديت حيّ على الفدافقمنا نخوض النار، والنور، والحقا؟

نجد الشاعر في هذه الأمثلة قد اعتمد تكرار الاستفهام من خلال توظيفه (ألسـت الذي) وهو استفهام استنكاري بيّن من خلاله عظمة هذا الشهر بالنسبة للشاعر، فجسمه وجسده ، وميزه بصفات كالصدق، والمحفز للثورة وتأييدها، فهذا التكرار أعطى صورة الحوارية، حيث لا يخلو بيت من المقطع من الاستفهام الذي جعله الشاعر مفتاحاً لأبياته. وهذا يبين قيمة شهر نوفمبر بالنسبة للشاعر، الذي جعل من التكرار كباعث نفسي يشد انتباه السامعين بالأثر الموسيقي الذي يتركه في النفس.

إن الملفت للانتباه في اللهب المقدس في ظاهرة التكرار وهو رد العجز على الصدر، فقد تتكرر لفظة في الصدر والعجز معاً، ومثال ذلك قوله في قصيدة: "قل يا جمال"

إرادة الشعب، إن تصدّق عزمته إرادة الله، يجري باسمها القلم

ما بين كاف ونون- قالها رجل فكان..وانهار ما خطوا، وما رسموا

فدلالة تكرار لفظة (إرادة) تشير إلى قوة العزيمة الصادقة، وإرادة الشعب من إرادة الله ، عندما يسعى هذا الأخير فيما يرضي الله ، فلن يخزي الله شعباً فيه ناصره، فالأزمة تولد الهمة، فالعثرات لن تدوم بل لابد من القيام والاستمرار.

كما نجد في قوله:

نحترم الكنيسة في حمانا ونحترم الصوامع والقبابا

وكان محمد نسباً لعيسى وكان الحق بينهما انتسابا

إن تكرار لفظة (نحترم) أشارت إلى فكرة التسامح الديني خاصة في المنظور الإسلامي، ومدى التقارب بين الديانة الإسلامية والمسيحية، كما حمل الشاعر التكرار من الموروث الإسلامي في قوله في قصيدة: "ألا إن ربك أوحى لها"

هو الإثم ، زلزل زلزالها فزلزلت الأرض زلزالها

وحملها الناس أثقالهم فأخرجت الأرض أثقالها

التداخل النصي واضح، فهذا التكرار أحدث تماسكا نصيا لكثافته، وهذا من خلال تكرار لفظتي (زلزل-أثقالها) في البيت الواحد، دلت على نفسية الشاعر وتأثره بالزلزال الذي حدث لبلدة الأصنام قبل اندلاع الثورة بشهر واحد، فوظفه الشاعر ببراعة من الموروث الديني لجعله متناسبا مع القصيدة المبلغة للمتلقى ولا يوجد أبلغ من القرآن لتحصيل هذا الكم المنفعي للمتلقى، فقد شبه ما حدث ذلك اليوم بتكرار ألفاظ سورة "الزلزلة"، مما زاد القصيدة دقة في التصوير، وترك وقعا في نفسية القارئ أو السامع.

كان الشاعر رجل مواقف، فلم يكن مادحا لشخص إلا من خلال موقف أثر فيه، فلم يكن متملقا ولا يهدف إلى كسب ما أو تحقيق مصلحة ما، فنلمح التكرار في مدحه ذا دلالة نفسية قيمة حيث يقول في قصيدة "هنيئاً بني أُمي":

هما شرفا ملكا، وما شرفا به فشتان ما بين المحطم والبانى

ومن لم يوف الحر شكرا مكابر ومن يجحد الإنسان ليس بإنسان

تكاد المدونة لا تخلو من التكرار، فهذا الاستخدام المكثف يشير إلى الخصوصية التي تميزت بها لغة الشاعر، وبذلك كان وسيلة من وسائل الربط المعجمي، ويسهم في صنع وسائل

أخرى للاتساق داخل النص الشعري، منها الروابط النحوية والصوتية، وبذلك يتداخل التكرار بكل أنواعه معها في صنع تماسك النص.

عمل التكرار في المدونة على تدعيم الاتساق المعجمي من خلال ربط الوحدات المعجمية، كما أنه يمنح المخاطب القدرة على إيجاد صورة لغوية جديدة تستميل القارئ، ونجد أن الشاعر أكثر من التكرار المباشر والجزئي، فتحقيق الاتساق داخل النصوص يفضي إلى هذا النوع من التكرار.

الخاتمة:

عمدت الكشف عن جماليات التكرار في مدونة اللهب المقدس، من أجل الوصول إلى القواعد النصية التي استند عليها الشاعر والعمل على إظهار العلاقة بين الوحدات المعجمية وقيمتها التعبيرية، ولإحداث التماسك النصي من خلال ظاهرة التكرير التي استثمر الشاعر جمالياتها الفنية ووظفه بكثافة فحقق بعدا جماليا وداليا، وأعطى نصوصه ذوقا جماليا جمع بين المبدع والمتلقي في نصية ذات دلالة هادفة من خلال الاتساق المعجمي الذي يندرج تحته عنصر التكرار، والذي يسهم في تماسك النصوص، وقد استعمل الشاعر التكرار في ديوانه بمختلف مظاهره، فاشتمل هذا الأخير على تكرير الألفاظ والعبارات والمعاني وحتى الأصوات، كما أنها حملت دلالات إيحائية وتعبيرية مما جعل القصائد متماسكة، وشكلت وحدة كلية أضفى عليها التكرار رونقا وجمالا سواء من حيث الهندسة الخارجية أو ما احتوته المضامين.

لقد أحسن الشاعر حسن التوظيف لهذه الظاهرة التعبيرية لإغناء الجرس الإيقاعي في قصائده، كيف لا وهو رجل المواقف، وهو المبدع ودل على ذلك المعجم اللغوي الثري الذي يكسبه الشاعر، وقوة اللغة الشعرية التي فطر عليها، فجماليات التكرار في اللهب المقدس زاوجت بين الإيقاع والجرس الموسيقي من جهة، وبين إيحائية دلالاته من جهة أخرى، حيث تجاوز الأول الإيقاع ليساهم في تشكيل البنية الدلالية للقصيدة مما أدى إلى ظهوره البارز في تماسكها وتلاحم أجزائها، وجاء ذلك من أجل بلوغ رسالة الشاعر إلى المتلقي.

هوامش الدراسة :

- 01- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية، 1419/1998هـ، ص21.
- 02- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "مسك"، دار صادر، ط3، ج7، بيروت، 1994م، ص195.
- 3- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة "مسك"، ص158.
- 4- الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، مصر، 1998م ج4، ص24.
- 5- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، 2008م، ص22-23.
- 6- ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، مج3، مادو(و،س،ق)، ص927.
- 7- عزة شبل محمد، علم اللغة النص، النظرية والتطبيق، تقديم سلمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص99.
- 8- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م، ص5.
- 9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص102-103.
- 10- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1

- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص93.
- 11- محمد خطابي، لسانيات النص، ص24.
- 12 -المرجع السابق، ص.24
- 13 -المرجع السابق، ص.25
- 14 -الفراهيدي بالخليل بن أحمد، العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، مكتبة لبنان، بيروت، (دت)، مج5، مادة(كرر)، ص.135
- 15 - الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مفتاح الصحاح، مكتبة لبنان، 1986م ،، ص257.
- 16 - المصدر السابق، ص256.
- 17 - الجرجاني القاضي، التعريفات، تح نصر الدين توستي، شركة القدس للتصوير، ط1 ، القاهرة، 2007م، ص113.
- 18- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، ص2.
- 19- مجدي وهبة وكامل المهدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2 ، لبنان، 1994م، ص117
- 20- مفدي زكريا، الذهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع، ط4، الجزائر، 2000م ، ص4.
- 21- المرجع نفسه، ص4.
- 22- المرجع نفسه، ص4.

